آدم حنين

يعيش الفنان آدم حنين الآن في جزيرة اسوان ، على بعد الف كيلومتر من القاهرة ، وسط الفين من الناس البسطاء الكرماء الطيبين . ولعل هذه البساطة الكريمة الطيبة هي التي دفعته الى ان يترك القاهرة ، ويترك اسمه القديم الذي عرف واشتهر به ، وهو صمويل هنري ، الى هذا الاسم الجديد / القديم جدا : آدم .

تخرج صمويل هنري من كلية الفنون الجميلة في القاهرة عام ١٩٥٣ . ثم عاش متفرغا لمدة عامين في مرسم الاقصر حيث عاش وسط روائع الفن المصري القديم . وذهب بعدها الى المانيا حيث تثقفت عيناه بروائع الفن الاوربي . وحصل على منحة تفرغ من وزارة الثقافة المصرية استمرت اربع سنوات ، عاشها في جزيرة اسوان . والى القاهرة هبط آدم ليعرض اعماله التي انتها في سنوات التفرغ .

حي السيدة زينب من اعرق الاحياء الشعبية في قاهرة المعز . وميدان السيدة من اشد ميادين القاهرة ازدحاما وصخبا وضجة . ويتوسطه مقام السيدة زينب حيث يقام حوله مولد شعبي كبير كل عام يزدحم بحجي وبمحبات ام هاشم . في حارة منجح المتفرعة من الميدان الكبير ، وهي حارة تنتمي بارضيتها المبلطة بهذا البلاط الكبير الى العصر المملوكي ، يقع بيت السناري حيث اقام العلماء والفنانون الذين جاؤوا مع نابوليون (١٧٨٩ — ١٨٠١) وفيه انتوا هذا الكتاب العظيم « وصف مصر » الذي لم يترجم الى العربية حتى الآن .

وبيت السناري اثر معماري اسلامي مبني على الطراز المملوكي في القرن الثامن عشر . يتوسط بوابته الحجرية المنحوتة باب خشبي ضخم بمقبض نحاس . وفوق الباب تطل مشربية كبيرة جميلة وكأنها برقع خشبي على واجهة هذا البيت الشرقي . والمدخل الظليل يؤدي الى هذا الممر الحجري المستطيل الكهفي الذي ينتهي الى صحن الدار . ويشرف على هذا الصحن مقعد كبير في الدور الاول تنتهي اليه بدرجات حجرية . وتحت المقعد الكبير يوجد المقعد الصغير الذي يطل على نافورة رخامية يتصاعد منها الماء في نور الشمس الذي يغمر الصحن المكشوف. وفي جنبات جدران الصحن الشامخة السامقة تنتشر القواريس تنطلق منها اوراق خضراء تتجاوب مع ماء النافورة ومع اصوات الطيور .

في هذا البيت الذي بدأ فيه فجر التاريخ المصري الحديث، حيث اكتشف شامبليون حجر رشيد، مفتاح الحضارة المصرية القديمة التي قدمت للانسان في فجر التاريخ كثيرا من علومه وفنونه وآدابه ومن قيمه الروحية والمادية التي يعيش عليها حتى الآن ، في هذا البيت العريق اقام آدم معرضه الفني من تماثيل وفرسك .

« غلام يشرب » تمثال من الجبس الابيض ، هو اول ما يستقبلك في هذا المعرض . في بساطة مذهلة تمكن الفنان ان يحرر الكتلة من ماديتها وثقلها ووزنها وجعل العين الرائية تترجم هذه الكتلة الى معنى والى حركة والى نغمة حية معاشة . من هذا العمل نلمس سر تكنيك آدم . انه يتجسد من هذا الاندماج الكلي والالتحام العضوي بين المادة والصورة ، بين الرغبة والتحقق ، بين الوسيلة والهدف ، بين الفنان والواقع ، بين الحركة والمحرك والمتحرك ، بين الجمال والمنفعة ، بين الشكل والمضمون والموضوع .

وكان الغلام وهو يشرب يصلي بحرارة وابتهال . ونلمس في هذا التمثال هذه العلاقة الحميمة بين القدر الذي يحاول الغلام ان يأتي على كل ما فيه من ماء ، وهذه الرأس – المستديرة مثل القدر – المرفوعة ، وهذا الجسم المشدود ، في لقاء سعيد بين الرأس والقدر وبين العطش والماء . رمز ناعم شفاف يطير بك ولكنه يحفظ اقدامك ثابتة على هذه الارض .

وهذا « الطائر »، من البرونز ، يقف على قدميه وقد فتح منقاره واخذ يغني . والحركة تشيع في فرح وانطلاق في هذا الجسم المشدود مثل وتر كمان . وهذا الطائر البرونزي الآخر ، نام على ظهره ، يرفع الينا وجهه الطفلي المرح وينام على هذه الارض التي انطلق منها يوما . يجسد لنا هذا التمثال الطفولة بكل ما فيها من بساطة وانطلاق وبراءة ، الطفولة التي هي البدائية التي يعيشها انسان العصر الحديث الذي يعيش نهاية حضارة ويتطلع ويعمل لحضارة جديدة .

وهذه « الرأس »، من الجبس، تستحيل عند الرؤية الى حقيقة من لحم ودم. حقيقة تجسد لنا في بساطة وفي تركيز وفي ايجاز معاني الفتوة والنبل والعمق والصفاء .

و « حامل الدرع »، هذا الانسان الشامخ ، في وقفته المنطلقة المشدودة في توتر ، المتوازنة في وقار ورصانة ، يبدو للعين وكأنه يرتفع ويرتفع ويتسامى حتى يكاد يلامس السماء . ان « حامل الدرع » يحمل في قلبه وفي جسمه – مع الثقة واليقين والايمان – حبا عميقا للسلام ، ولكنه مستعد للدفاع عن هذا السلام بكل ما يحمله في كيانه من قوة ورجولة وبطولة . وفي هذا التمثال نلمس هذا اللقاء الرائع بين الصمت والتعبير . ان الفنان آدم يعبر هنا في اقل حركة وفي ابسط شكل عن لغة الصمت . انه يقدم نموذجا للشعر الجديد في فن النحت .

وتمثال « راكعة »، من الجبس ، يقدم فتاة تحمل على ذراعيها شلة من الخيط ، وهي في هذا الوضع . الركوع والشلة على الذراعين تجسد للعمل صلاة من حجر . ان الصلاة بالعمل الصالح ابلغ صور الصلاة، فليس بالايمان وحده يصل الانسان الى السماء ، بل بالعمل الصالح ، في الارض وعلى الارض ولمن يعيش ويسكن هذه الارض .

وهذه « المرأة الواقفة »، من البرونز ، تقف في ثبات وفي هدوء مطمئن ، تضع ذراعيها خلف ظهرها ، ذراعين مرسومين في اناقة وفي دقة رهيفة . وملامح الوجه تلمس فيها النبل والطيبة والعمق . هذه المعاني التي تشيع في الملامح المصرية القديمة والملامح القبطية .

وتمثال « حامل القدور » يقدم رجلا طيبا تختفي رأسه بين قدرين فارغين يحملها ويتجه بها الى يوم جديد من عمل وجهد وعرق . وفي هذا التمثال الخشبي ، المزيج من الفن القبطي والفن الافريقي ، نلمس هذه المشاركة العميقة بين الفنان الانسان وبين الانسان الكادح المرهق الذي يحمل قدره في صبر وفي ايمان ، وفي حب كبير للحياة وللاحياء . انه يملأ القدرين – من الفول المدمس المصري – ليأكل الناس كل صباح ، ثم يعود بها فارغين ليملأهما من جديد ، وكأنه ساقية تدور . انه يقدم لونا من القداسة والرهبنة ، حيث تصبح الصلاة والايمان عملا طيبا لخير الآخرين في سبيل حياة افضل واجمل واسعد .